الشعرى فإنه كشف لنا عن جو مركب كثه تقريباً من كتلة عظيمة من الهدروجين وهو من أخف الغازات المعروفة. فيجب أن نستنتج من ذلك أن سائر العناصر الكيماوية التي هي أثقل قد تفككت وتحولت إلى هدروجين بقوة الحرارة الشديدة حرارة الشعرى. فإذا كان الأمر كذلك فحينئذ عند مرور الأعصار وكرور الأدهار لما يبرد الكوكب وينتقل من حالة الشعرى إلى حالة الشمس كما تحقق هذا الأمر عند جمهور العلماء يجب علينا أن نسلم أن الهدروجين في برودته يسير سيراً معاكساً أي إنه يتخثر رويداً رويداً فتتكون منه سائر المعادن. ومن ثم فإن الكواكب تكشف لنا عن سر طالما كان غامضاً عَلَى أهل العصور الوسطى ألا وهو سر علم الصنعة الذي ترمي غايته إلى تحويل المعادن بعضها إلى بعض وعلمه فوق كل علم بغداد

ساتسنا.

أمالي تاريخية

الضريبة

روى المحبي في خلاصة الأثر: إن العوارض مظلمة سلطانية تؤخذ من البيوت في الشام في كل سنة ويقال أنها من محدثات الملك الظاهر بيبرس أشار إليها الصفوري بقوله معتذراً:

يا من فضله والجود سارا ... مسير النيرين بلا معارض

وعدتك سيدي والوعد دين ... ولكن ما سلمت من العوارض

والأكرمي بقوله أيضاً وقد أجاد:

لحا الله أيام العوارض إنها ... هموم لرؤياها تشيب العوارض

يضيق لها صدري وإني لشاعر ... خليع وبيتي ما عليه عوارض

القشلق

وروى المحبي أيضاً أن القشلق من عسكر السلطان مراد بن أحمد كانوا قد عينوا لمحاربة شاه عباس فدهمهم الشتاء دون الوصول إلى خطة العجم فأمروا أن يشتوا في دمشق وأطرافها من القرى وضيقوا على الناس أمر المعيشة وبالغوا في التعدي والتجاوز ونهب أموال الناس وكان قاضي القضاة بدمشق أحمد بن عوض العيثاوي تولى هذا المنصب سنة ١٠٤١ هـ قسى بقسعهم وكف شرهم فقال إبراهيم الأكرمي في ذلك:

انظر إلى القشلق في ذلة ... العكس من حالهم الحائل
كم رجل منهم بسموره ... عَنَى جواد صائل صاهل
تحل بالجندي غلمانه ... وقد أتى يسأل عن سائل

ووصفهم أبو بكر العمري بقصيدة بليغة مشيراً إلى عيثهم ومعاونة القاضي في دفع أذاهم مطلعها:

آواه مما حل في جلق ... من العنا في زمن القشلق
رامي البلى مد عَنَى أهلها ... قوساً له قال القضا فوّقي
حتى تنادي الناس مما هي ... باليتنا من قبل لم نخلق

ومنها:

كانت دمشق الشام محسودة ... لكونها بالعين لم تطرق
آمنة من كل ما يخشى ... أمنة للخائف المشفق
مائسة تزهو بسكانها ... مائدة للبائس المملق
لا يعرف الدخل لها مدخلاً ... ولا إلى عيانها يرتقي

وهي عَلَى ما تم من نعمة ... تتيه بالحسن وبالرونق

ومنها في وصف قشلق:

في رقعة الشام غدت خيلهم ... وذلت الأرخاخ للبيدق

أواه من خمدة نيرانها ... يا نار كيف اليوم لم تحرق

إلى أن قال:

يا ويح قوم دعسوا أرضنا ... وأوقفونا في ردى موبق

وقد أغاروا وبنا أحدقوا ... يا غيرة الله إلينا أسبقي

أجنوا أهالي النور عن دورهم ... بالسيف والدبوس والبندق

واتخذوها سكناً دونهم ... بالفرش من خزّ ومن استبرق

واستوعبوا أكثر أموالهم ... ظلماً بلا عهدٍ ولا موثق

واقتنع الناس بأعراضهم ... فإنها بالنهب لم ترشق

وأرخ ذلك بقوله:

لقد غزينا دون وعد بلا ... لأم فارخ سنة القشلق

وأشار إلى وجوب إسقاط اللام من التاريخ فتبقى سنة ١٠٤١هـ ١٦٣١م.

زحلة:

عيسى اسكندر المعلوف.

غرائب الغرب

كلية باريز

١٧